**الفصل الثالث: رمزية الأرقام**

|  |  |
| --- | --- |
| **العالم مبني على قوة الأعداد.** | |
|  | فيثاغورس |

تَظهر في الأدبيات القديمة إشارات إلى تطوّرٍ منحَ الأعداد دلالتها الحقيقية، وجعل منها جزءًا من نظام رمزي يشير إلى ما هو أعمق من مجرد التعداد أو الحساب.

يمكن استخدام الأعداد كرموز لأن الكون قائم على خُطّة مُنسّقة تتكرّر فيها العلاقات الكمية عبر حالات ومستويات مختلفة. فالعدد عنصر مشترك بين جميع مستويات الطبيعة، ولهذا فإنه يربط بينها. ومن خلال دراسة الأعداد، يمكن للمرء أن يتعرّف على القوانين الأساسية التي تحكم الخَلق والبنية والتطور المتدرج في حياة الأكوان والبشر على السواء؛ إذ إن الإنسان ليس سوى تحوُّل من عناصر كونية، وتركيز لقوى كونية.

لكل عدد قوة معيّنة لا تُعبِّر عنها الصورة أو الرمز الذي يُستخدم للدلالة على الكمية فقط. فهذه القوة ترتكز على ارتباط خفي (باطني) قائم بين علاقات الأشياء والمبادئ الكونية التي تُعدّ هذه الأشياء تجلّيًا لها أو تعبيرًا عنها.

جميع الأعداد تُعبَّر عنها بعشرة رموز تبدأ بالصفر وتنتهي بالتسعة. وفي هذا السياق:

الصفر (0) يُمثِّل اللانهائية؛ الكائن غير المحدود، الوجود المطلق الذي لا أصل له ولا مصدر، أصل ومنبع كل الأشياء، ويمثّل في الوقت ذاته "بيضة الكون" أو النظام الشمسي بكليّته. يتضمّن الرمز دلالات على الكونية، والانفتاح الشامل، والدوران حول المركز، والتجوال، والدورات، والنفي، والدائرة المحيطة، والحدّ، والحرمان.

كما يرمز الصفر إلى ما هو غير متناهٍ في العِظَم أو في الصِغَر، إلى دائرة اللانهائية والنقطة التي تتوسّطها، إلى الذرّة، إلى غياب الصفات، وإلى الحرية المطلقة. وهو كذلك رمز للمطلق الأبدي واللانهائي الذي لا يمكن وصفه بأي شيء يُدركه الإنسان، ولهذا يُشار إليه بعبارة "اللا-شيء"، لا بمعنى العدم بل لأنه لا ينتمي إلى أي تصنيف من تصنيفات الموجودات المعروفة.

ويدلّ الصفر أيضًا على النور الحي اللامحدود الكامن في كل شيء، على "الجذر الذي لا جذر له"، و"المصدر الذي لا مصدر له".

ويُجسِّد الصفر أيضًا مبدأ "الخروج والرجوع"، وهو المبدأ الذي يُفصَّل الحديث عنه في الفصلين الثاني والثالث من الجزء الرابع. فالدائرة أو القطع الناقص في ترميز الأرقام العربية يُعبّران عن هذا المبدأ: القوس النازل يمثّل مسار التنازُل أو التجلّي (الهبوط من الروح إلى المادة)، وصولًا إلى أدنى نقطة متمثّلة في المملكة المعدنية، بينما يمثّل القوس الصاعد مسار الترقي أو العودة (الصعود من المعدن إلى النبات، فالحيوان، فالإنسان، وصولًا إلى الإنسان الأعلى أو "الإنسان الإلهي").

الواحد (1) يرمز إلى التجلّي، والإثبات، والمبدأ الإيجابي الفاعل. هو الصفر وقد تجلّى، ولذلك فهو رمز الشمس. يمثّل اللوغوس، تجلّي اللامحدود وغير المُتجلّي. كما يُعبّر عن الأنا، وإثبات الذات، والإيجابية، والأنانية، والانفصال، والتفرُّد، والاعتماد على النفس، والكرامة، والحُكم. دينيًّا، يرمز إلى الرب. فلسفيًّا وعلميًّا، هو التوليف والوحدة الأساسية لكل الأشياء. ماديًّا، هو وحدة الحياة، الفرد.

كلا الشكل والمعنى يشيران إلى الخط العمودي الذي يربط بين أقصى العلو وأقصى العمق؛ أي إلى الذكاء الكوني الذي يُعدّ الشكل الأول لكل وعي، والمستور خلف جميع الأعداد والرموز. الرقم (1) هو جوهر الكون، ومادته، وطاقته، ووعيه، وهو يتجلّى بدرجات مختلفة في كل أشكاله. وفي الإنسان، هو الموناد (الواحد الأصلي) والروح-الذات التي تتجلّى كفردية؛ أي الكيان المتكامل المتطوّر أو الأنا الخالدة التي تعاود التجسّد.

اثنان (2) الرقم (2) يعبّر عن التضاد؛ أي جميع الأقطاب المتقابلة مثل: الفعّال والسلبي، الذكر والأنثى، الموجب والسالب، الربح والخسارة. وهو في الكون يُمثّل الثنائية في الحياة المتجلّية — الله والطبيعة، الروح والمادة(**[[1]](#footnote-1)**)، والعلاقات بينهما. كما يشير إلى التكرار، والانعكاس، والتناوب، والتعاطف، والتضاد؛ وإلى الحكمة الخالصة، باعتبارها المرآة التي يرى فيها الإلهي ذاته، سواء في الكون أو في الإنسان.

وفي الإنسان، يُمثّل الرقم (2) الحدس الروحي الذي ينير الذهن ويظهر في الشخصية كقدرة على إدراك المبادئ الباطنية، والأفكار المجردة، والصيغ الأساسية، وكذلك حقيقة الثنائية الحتمية للوجود في جميع مستويات التجلي. وبما أنه يجمع بين الأضداد أو المبادئ المتقابلة، فإنه يدل على الخلق، والإنتاج، والإثمار، والتوليف، وعلى الظاهر والخفي، والمعلن والمضمر.

ثلاثة (3)يرمز إلى الثالوث؛ أي ثلاثية الحياة، والمادة، والذكاء، أو القوة، والمادة، والوعي. وهو يدل على الخلق، والحفظ، والتحول، والتكاثر، والتطور، والنمو، وبالتالي التعبير والظهور.

كما يشير الرقم 3 إلى تفعيل المبادئ التي ينعكس بها المبدأ الأول (1) من خلال الثاني (2). وهذا يتضمن الذكاء المقدّس، والفهم الذي يُقابِل الحكمة، بوصفه يعكس معرفة الذات الباطنية. ويعبّر هذا الرقم أيضًا عن مفاهيم مثل: العائلة—الأب، الأم، والطفل؛ الأبعاد الثلاثة—الطول، العرض، والارتفاع؛ والمسلّمات الثلاث—المفكّر، والفكرة، والشيء.

أربعة (4) الرقم 4 هو رمز الواقع والتجسّد، والنظام، والقياس، والتصنيف، والتوثيق، والتسجيل، والذاكرة؛ أي يمثل الذكاء الذي يقيس ويحدّد. ويدل على الكون المادي، القوانين الفيزيائية، المظهر، والسمات الظاهرة؛ وكذلك يشير إلى المنطق، والعقل، والتمييز، والحكمة العملية، والنسبية؛ أي إلى المعرفة الناتجة عن الإدراك والتجربة والعلم.

يرتبط الرقم 4 أيضًا برموز مثل: الصليب، والانقسام، والتقسيم، والنظام، والتصنيف، والصليب المعقوف (السوستيكا)، وعجلة القانون، والتتابع، والتعداد. وعند تطبيقه على الإنسان، فإنه يرمز إلى الطبيعة الشخصية—أي ما يُعرف بالرباعية الدنيا، وهي الجوانب الأربعة للذات البشرية المرتبطة بالعالم المادي.

خمسة (5) الرقم 5، كونه يتوسّط بين 1 (البداية) و9 (الاكتمال)، يرمز إلى الوساطة، وكذلك إلى التكيُّف والطرائق والأساليب. وهو يمثل مبدأ العدالة الكونية التي يراها الحكماء على أنها تعبير عن العدل الكامل، كما يشير إلى القدرة على تكييف الظروف الطبيعية من أجل التحرر التدريجي من كل أشكال القيود.

ويشمل أيضًا دلالات مثل: التمدد، والشمول، والفهم، والحُكم، والنمو، والخصوبة، والتكاثر، والعدالة، والحصاد، وإعادة إنتاج الذات في العالم المادي، والأبوّة، والثواب والعقاب بموجب القانون.

أما الجوانب الثابتة والراسخة لهذا القانون، بما فيها مما يبدو كصرامة في تطبيقه، فقد تثير الخوف في نفوس من يجهلونه، لكنه في جوهره ليس سوى الجذر اللامُتحيّز لجميع عمليات قوة الحياة.

ستة (6) الرقم 6 هو رمز التوازن والاعتدال، والانسجام بين المتضادّات، والتناغم والتكامل والتفاعل المتبادل، كما يُعبِّر عن الوساطة الذكية التي توفّق بين الأقطاب. ويمثل هذا الرقم: التعاون، والزواج، والعلاقة الزوجية، والروابط والتفاعلات المتبادلة؛ التوازن بين الروحي والمادي، وبين العقلي والجسدي في الإنسان؛ كما يرمز إلى النفس (السايكية)، وعلم النفس، والعرافة، والقدرات النفسية الخارقة مثل التخاطر وقراءة الطاقة (السايكومتري). إنه رقم يشير إلى قدرة الإنسان على الوصل بين العوالم المختلفة—المادي والروحي، الداخلي والخارجي—وإحداث انسجام واعٍ بينهما.

سبعة (7) الرقم 7 يرمز إلى توقّف مؤقّت أو راحة انتقالية، وليس إلى الكمال النهائي، الذي يُنسب إلى الرقم 9. فهو يُعبِّر عن النتيجة المنطقية للأفكار التي ترمز إليها الأرقام السابقة، أي الحصاد المرحلي لما تمّ بناؤه وتطوّره.

يمثّل الرقم 7 مفاهيم مثل: الراحة، الأمان، الاستقرار، الانتصار المؤقت؛ لكنه لا يدلّ على النهاية أو الاكتمال التام؛ كما يشير إلى الزمن والمكان، والامتداد، والشيخوخة، والانحدار، والموت، والصبر، والثبات، والخلود.

ويرتبط الرقم 7 أيضًا ببعض الرموز الكونية والباطنية مثل: السبع مراحل العمر، أيام الأسبوع السبعة، الأختام السبعة، المبادئ السبعة في الإنسان (وهي غالبًا: الثلاثية العليا [الروح/العقل] والرباعية الدنيا [الشخصية])، الألوان السبعة، الأنغام الموسيقية السبعة. إنه رقم يشير إلى محطة فاصلة بين مراحل، تتّسم بالهدوء والاستيعاب والنضج، لكنها ليست نهاية الطريق.

ثمانية (8) الرقم 8 يرمز إلى الدورات المتعاقبة، مثل الجَزْر والمدّ، التقلّبات والازدواجية، وديناميكية التطور والتراجع أو الانقباض والانبساط، حيث تتوالى الحالات المتضادة من أصل واحد ضمن إيقاع كوني منتظم. ومن معانيه الأساسية: الدورة: الانغلاق والانفتاح، الابتداء والانتهاء، الرجوع والانطلاق؛ الإيقاع الطبيعي للحياة: النَّفَس (الشهيق والزفير)، توالي الفصول، تكرار التجربة والنمو؛ رد الفعل والانفجار: الثورة، الانشقاق، الانفصال، الانحراف، الشذوذ، الجنون؛ التسوية الكارمية: سداد الديون، حصاد الأفعال، موازنة الحسابات مع الطبيعة (حيث يُجنى الخير أو الشر وفقًا للسبب السابق).

ويرتبط الرقم 8 أيضًا بـ: التحولات المفاجئة، مثل العبقرية، الإلهام، الاختراع؛ العلم الباطني والسحر، باعتباره الرقم الذي يكشف أسرار الدورات الخفية والعمليات الرمزية الكبرى في الطبيعة. بالتالي، فإن 8 هو رقم التحوُّل والانقلاب، يشير إلى مرحلة يتم فيها تفكيك القديم من أجل تهيئة الولادة الجديدة، كما يحمل في طياته القوة والإبداع والجنون معًا، بوصفها وجوهًا متعددة لتحول طاقيّ عميق.

تسعة (9) الرقم 9 هو رقم الاكتمال والتحقّق، لكنه لا يعني النهاية المطلقة، بل نهاية دورة تُمهِّد لبداية أخرى أعلى منها. يمثل نقطة الذروة التي تنفتح منها دورة جديدة، لأن كل نهاية هي بذرة لبداية لاحقة.

ومن أبرز دلالاته الرمزية: الإنجاز والتحقيق: بلوغ الغاية، إتمام العمل، إقفال مرحلة على المستوى الروحي أو العقلي أو الحياتي؛ التحوّل والنهضة: إعادة التشكُّل، التجدد، التنوير، التنبّه إلى أبعاد أوسع من الإدراك؛ الروحية والاستبصار: البصيرة، الامتداد الحسي، الإلهام، الرؤى، التنبؤ، الكشف عن الغوامض؛ الحركة والانطلاق: السفر، الرحيل، النشر، التوسّع، نبضات الحياة، الإيقاع، السهم الذي ينطلق نحو هدف أبعد.

كما يرمز الرقم 9 إلى السر والغموض، إذ يتصل بالمجهول والباطن، ويهيّئ الإنسان لاجتياز عتبة نحو فهم أوسع أو وعي أعمق. باختصار، الرقم 9 هو نهاية تُفضي إلى بداية، واكتمال يولِّد تحوّلاً، وهو رمز للنضج الروحي والارتقاء نحو مستوى أعلى من الوعي.

عشرة (10) الرقم 10 يُمثّل اتحاد الواحد (1) كخط عمودي يرمز إلى الوعي الذاتي والتميّز والفعل الإلهي، مع الصفر (0) كدائرة ترمز إلى الوعي الأعلى أو الكوني، واللانهاية، والمصدر الذي لا يُوصَف. بهذا المعنى، 10 يُشكّل اكتمال دورة الخلق والعودة إلى الأصل، لكن على مستوى أرقى.

من معاني الرقم 10: الكمال والسيادة: هو عدد يدل على الإتقان والسلطة والهيمنة المنظَّمة، حيث يصبح الوعي قديرًا على توجيه قوى الحياة وتوظيفها بوعيٍ وحكمة؛ انسكاب الحياة الكونية: يشير إلى تدفّق القوة اللامحدودة عبر عقل موجه أو "لوغوس"، مما يربط بين المصدر (الصفر) والفعل الواعي (الواحد)؛ الذكاء المشعّ: يمثل وعيًا قد بلغ النضج والسيطرة المستنيرة المبنية على الفهم المنظّم؛ البداية من جديد على مستوى أعلى: إذ أن 10 أيضًا تُعيدنا إلى 1 من زاوية جديدة، مما يرمز إلى بداية جديدة بعد اكتمال دورة، ولكن أكثر تطورًا.

باختصار، الرقم 10 هو عدد السيادة والتمام، حيث تتّحد الروح الكونية بالمبدأ الفاعل، وتظهر القدرة الكاملة للوعي المُدرك في تنظيم الخلق وتوجيهه نحو غايته الأعلى.

هذه بعض الروابط ضمن سلسلة شبه لا نهائية من الأفكار المرتبطة بالأرقام التسعة والصفر. في بعض أنظمة التفسير، يُوضع الصفر في النهاية، بحيث يُجمَع الأول والأخير معًا لتكوين العدد 10، وهو العدد الكامل في النظام العشري؛ أما في النظام العبري، فإن العدد 12 هو من يحظى بهذه المكانة، لأنه ناتج عن ضرب 3 في 4. أما العدد 7، الناتج من جمعهما، فهو عدد مقدس آخر. ويُطبَّق التفسير السابق للأرقام على القيمة الأحادية لأي عدد—مثلًا: 7 + 3 + 1 = 11، ثم 1 + 1 = 2، فتكون القيمة النهائية هي 2. وهكذا، فإن كل الأعداد تُشير في النهاية إلى أحد الأرقام التسعة الأساسية.

قد يكون المفتاح التفسيري التالي للأرقام مفيدًا، إذ يتميّز بالإيجاز وسهولة التطبيق مقارنةً بالسابق. وفي هذا النظام، تشير الأرقام إلى ما يلي:

11. القوة المطلقة—الماضية والحاضرة والمستقبلية—يُنظر إليها بوصفها حاضرة في كل مكان وخارجة عن الزمن.

12. الفردية وما قد يصاحبها من نزعة أنانية، الاعتماد على الذات، التأكيد، التميز، والمُصدِر الأول الذي يوجه ويعيد الظهور ويُبقي الكون ويحوّله؛ أي اللوغوس.

13. الحكمة التي لا تخيب، المعبَّر عنها في الفكر والكلام. كما تشير إلى العلاقات، والجذب النفسي، والعاطفة، والتعاطف أو النفور، والشك، والتردد.

14. الهداية في طريق التحرر من خلال فهم القانون. التوسع، والنمو، والقدرة الذهنية، والثروة، والنجاح.

15. الامتلاء اللامحدود للفضاء، الذي يمكن أن يُلبّي منه كل احتياجات الروح والمادة. الإدراك، والملكية، والاقتناء، والائتمان، والمكانة.

16. العدالة غير الشخصية والثابتة في جميع أوضاع البشر، المعترف بها والمُقَر بها. السبب والنتيجة، المنطق، الأخلاق، السفر، التجارة، النفعية.

17. الكون المتصوَّر والمُعبَّر عنه كجمال. التعاون، الزواج، التبادل، التعاطف، اللعب، الفن، الموسيقى، الرقص.

18. النصر المتحقق من خلال الإرادة الروحية المدعومة بالحكمة والفهم الكاملين. التوازن، العقود، الاتفاقيات، المعاهدات.

19. الثقة الناتجة عن إدراك القانون الكامل والنور الأبدي. إعادة البناء، الموت، النفي، الفناء، الخسارة، الانطفاء.

20. حياة الفكر والكلمة والعمل المؤسَّسة بثبات على المبدأ الأزلي، جوهر الروح في الكون.

21. عالم الروح متجسّدًا بصورة كاملة في عالم المادة. وفي الإنسان، يُعبَّر عن الكون الكبير (الماكروكوزم) بصورة كاملة في الكون الصغير (الميكروكوزم)، وعن الروح في الجسد.

1. - ننوه إلى أنَّ المعلم **رينيه غينون** لا يرى أن بين الروح والمادة **تقابل** لكون هذا الأمر من المفاهيم المشوهة والمحرفة التي قال بها الغرب. المعرب  [↑](#footnote-ref-1)